الفصل الثالث عشر

عزيز

- كم عمري ياماما؟
- خمسة أعوام يا حبيبي.
- وأنت؟
- أنا ستة أعوام ياحبيبي..

وضحك عزيز:

- غير ممكن. أنت تمزحين ياماما.
- أبدا لاأمزح.
- هل من المعقول أن تكوني أكبر مني بعام؟

وغمزت أحمد بطرف عينها:

- معقول.. لأنني لاأحسب عمري الاّ يوم تزوجت بأبيك ياحبيبي..

منذ يومين ومها تستعد لعيد ميلاد عزيز. كانت تهيئ أنواع الأطعمة، وأحمد يعقد الزينات في الصالة، ويصنع وجوها مضحكة مـن القنـاني الصغيرة الفارغة، ويلبسها ثيابا زاهية من الورق الجعد الملون، بينما كان يدار على المسجل الأغاني الحلوة، فتنبعث الأغاني المخملية، ويطـرب أحمد ويصدر آهات الاعجاب.

- أتصغين يا مها؟ أهناك أبسط وأروع من هذا الكلام والنغم؟ كم هي رقيقة معبرة أغاني شعبنا.. كم هي غنية موسيقانا؟ ياسلام!

كان في وجه أحمد نشوة عارمة كأنما هو في غيبوبة ساحرة، والتقت عيناه بعيني مها وهو يدلي لعبة بين الزينات البلوريـة وفجـأة عانقهـا وهصرها الى قلبه وقبلها قبلة طويلة.

- أنظري في عيني ياحبيبتي! أنظري طويلا.. أجن بنظرة عينيك.. ياغزالتي.. ياحمامتي.. يا كل سعادتي في هذه الدنيا.. ثلاثة أرباع حبـي لعزيز أن له عينين تشبهان عينيك.. أية رقة وأي حنان، تذيبان قلبي شوقا اليك.. أنظري في عيني ياحبيبتي! دعي هذه النظرة تحفر فـي أعمـاق أعماقي..

وأحست مها بقشعريرة ترجف قلبها.. لم يكن أحمد من الرجال الذين يبالغون في التحبب للزوجة وبدون مناسبة. وأحست بما يتهددها فأجفلت. ولم يلبث أن غير الحديث وهو يرى عزيز يدخل الغرفة وتند عنه صيحة إعجاب لجمال الزينة في الغرفة، ويأخذ بتفحص الألعـاب واحـدة تلـو الأخرى..

- هذه الأغنية رائعة يامها.. ما أحلى هذا الصوت!.

- أتذكر؟ كنت تتحامل عليها في مستهل زواجنا.

-كنت أحسبها تلك المغنية التي غنت في مدح الـدكتاتور الـسابق.. انني لاأستطيع أن أغتفر لمن يبيع فنه رخيصا لدكتاتور.. المغني ككـل فنان هو روح الشعب، وجدانه، ضميره وعبقريته. انه قائد طليعـي ولا يمكن أن يغتفر له أن يتبذل فنه في مدح الطغاة وتملق أعداء الشعب.

وابتسمت مها:

-ألا ترى أن نقدك ذاتي؟

- نحن أناس يا مها ولسنا نظرية.. أيمكن أن يكون هنـاك صـوت ساحر يخطف القلب كصوت أم كلثوم؟ ومع ذلك أشعر هذه الأيام بنفـور منها.. انني أومن بالشعوب، وأعلم أن ليس في الدنيا شعب رديء، ولكن هناك قادة أردياء.. وأخجل من هذا الشعور الذي يتملكنـي ولا أسـتطيع دفعه.. أيمكن لي أن أرى ما يفعله المصريون ولا يتملكني الغضب؟ حين

أراهم هؤلاء الذين أذلهم الاستعمار ثمانمائـة عـام يعـاملون سـوريا كمستعمرين أكاد أجن.. أن يأتوا بغبائهم وجهلهم وعماوة قلوبهم ليحطموا منجزات سورية ونضالاتها أكاد أتمزق.. انهم زرعوا الكره في قلوبنـا يامها..

- لايجوز هذا ياأحمد.. الفن فوق السياسة.. أم كلثوم ليست لمصر، انها لنا جميعا.. كم انتشينا بأغانيها! لكأنما تغني حبنا، لكأنما هـي لنـا وحدنا.. وشعب مصر ليس ملك فرد.. سيعرف طريق التحرر يوما..

- حقا ان نضالنا المقبل هو مع الـشعب المـصري ضـد هـؤلاء المشعوذين الدجالين.. بدأت المعركة.. أياما قاسية تنتظرنا يا مها..

وتنهد أحمد فأدركت مها أنه يريد أن يحدثها بأمر فقالت لعزيز:

- إذهب ياحبيبي واشتر لنا كيلوبين سكر من السمان لأصـنع لـك جاتو.. والدك يحاسبه. أتستطيع حملها؟

- عزيز بطل كيف لايحملها؟

وعانقه قائلا:

- ياحبيب قلبي ما أحلاه!

وتوثب عزيز الى الباب، وقال أحمد:

- حسنا فعلت أنك أبعدت عزيز.. ماأحلى طفلنـا، كامـل الطفولـة بابتسامته ونظراته!.

- ان ابتسامته تشبه ابتسامتك.. كنت أنظر اليكما وأنتما متعانقـان، نفس الضحكة ونفس الأسنان النضيدة اللامعة.. ليساعدنا الله عندما يكبر كم سيسحر من بنات!

- لاتخافي عليه.. سيكون رجلا ناضج العاطفة.. الإنسان الواثق من نفسه لايصرف وقته بالعبث في القلوب.. يجب أن نعده ليدرك وضـاعة الرغبة في أن يثير الإنسان متعمدا عواطف لايستطيع إرواءها.

- طبعا ، ليس هناك مهارة في اقتناص القلوب.. المهـارة كلهـا أن يعرف الإنسان كيف يرتفع بالحب الذي يدوم العمر كله الى أوج الرضى النفسي، كيف يحول جداول الأشواق الصغيرة الى رغبة واحدة متدفقـة عارمة..

وتعانقا من جديد وهما يتبادلان القبل.. كان أحمد وكأن أمرا يـشغل باله وينغص عليه سعادته فيبعده بمزيد من القبل، وهمست مها:

- كم أنت حنون اليوم!

- هل أنت سعيدة ياحبيبتي؟

- كثيرا!

- أتحبينني؟

- لست أرى بعيني سواك ياحبيبي منذ تزوجتك..

- بالرغم من حدة طبعي؟

- عواصفك مطيرة، تطهر قلبي وتصبح الدنيا بعدها أكثـر اشـراقا وجمالا.

- هل تصبر المرأة طويلا على فراق زواجها لو غاب عنها؟

- كيف لي أن أعرف ياحبيبي؟ انك لم تغب يوما عني، فلا قدر الله أي فراق!

- هل تصبرين لو حدث هذا؟

- قبل الزواج كنت أشعر أن لدي من القوة ما أستطيع بها أن أتحدى رغباتي وأبقى دون زواج، مكرسة وقتي لأدبي.. وفجأة شـعرت بـأنني أضعف من أن أحتمل الوحدة طول حياتي.

وتجهم وجه أحمد واستغرق في التفكير فاستدركت مها:

- كل انسان قادر أن يصعد ميوله ان كان لديه ما يشغله وأنـا الآن زوجة وأما.

- أمن أجل الواجب تصبرين؟

- ومن أجل الحب.. أشعر أن في قلبي من الحنين ما أستطيع به أن أبيع أفراح حياتي كلها لو غبت عني بأمل لقاك يوما، حتـى لاأرى فـي عينيك الحبيبتين حزنا ولا خيبة أمل. أحيانا يخطر لي أنه لو شـاع بـين الناس زواج المتعة، وأصبح هو العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة بدل علاقة الزواج الملزمة لوجدت نفسي راغبة في أن أرتبط بـك ارتباطـا أبديا.. انني أجد معك راحة جسمي، وراحـة فكـري، وراحـة قلبـي، وتسعدني رفقتك.. ان الإبتعاد عنك يشبه بتر عضو من أعضائي.. ولكن لم تسألني هذه الأسئلة؟ أحمد مابك؟

- لاشيء ، لاشيء ياحبيبتي..

وعرفت بعد بضعة أيام ما كان يشغل باله وقد أحست به سلفا.